الدور السياسى للقراقيونلو التركمان فى أذربيجان والعراق (٧٨٢ – ٨٧٣هـ/ ١٣٨٠ – ١٤٦٨م).

د.إبراهيم محمد على محمد مرجونة(*)

أولاً: التركمان وبداية الظهور على مسرح الأحداث:-

أطلق اسم التركمان على القبائل التركية التى سكنت العراق والأناضول إبان الفتح السلجوقى وقد اتخذت هذه القبائل من العراق وطناً أصيلاً لها. وظهر الاستعمال الأول لكلمة التركمان كما ورد بصيغتها الصينية (توكومنك) فى موسوعة تونج تين فى القرن الثامن الميلادى(١).

وقد اتفقت الآراء على أن التركمان فرع من فروع الترك التي قطنت آسيا الوسطى وظل معظمهم على المعتقد الوثنى حتى بعد مجيء المغول إلى بلاد فارس ثم تغيرت الأمور وحدث اتصال مباشر بين المسلمين والتركمان مع تغير خريطة العالم التى صحبت الغزو المغولى و قد أدى هذا الاتصال إلى اعتناق التركمان للدين الإسلامى(٢).

حرك المغول ركود الحضارة الإسلامية وأيقظوها من سباتها من خلال موجات الهجرات التى انتقلت إلى سائر أنحاء العالم الإسلامى فرارًا من ظلم واضطهاد المغول فأحدث ذلك التقاء ثقافات و أفكار عديدة ومختلفة وتوحدت آسيا من جديد تحت الحكم المغولى.

وانتشر الإسلام بين التركمان لعدة أسباب كان من أهمها: انسجام هذا الدين مع العرف التركمانى والقواعد الأخلاقية المتعارف عليها فى المجتمع التركمانى هذا بجانب السماحة واحترام الآخر وقبوله ومبدأ المساواة والدفاع عن الحقوق فكل هذه الأسباب مجتمعه دعت التركمان إلى إشهار إسلامهم(٣).

(*) مدرس التاريخ الإسلامى وحضارته كلية الآداب بدمنهور – جامعة الإسكندرية

وقد أطلق اسم التركمان عادة على الأوغوز، والخلاج المشتغلين بالزراعة والقراقيونلو، ومصطلح" قراقيونلو" يعنى الخراف السود[٤] وقد أُطلق هذا الاسم على إحدى القبائل التركستانية التركمانية وسبب التسمية أن الخروف الأسود كان رمزًا لأعلامهم وكانت من ضمن مسميات هذه القبيلة أيضًا "البارانية" نسبة إلى أحد أجدادهم الأوائل ويدعى "باران" وقد هاجرت هذه القبيلة مع غيرها من تركستان ونزلت فى نواحى أرزنجان وسيواس[٥] وأرمينية وكانت الهجرة إبان عهد أرغون خان المغولى (٦٨٣ – ٦٩١هـ/ ١٢٨٤ – ١٢٩١م) حاكم الدولة الإيلخانية بفارس[٦].

وكانت الهجرة فى موجات متتابعة تمت على فترات مختلفة و لأسباب اقتصادية مرهونة بضيق العيش وقصرذات اليد ولأسباب سياسية كالضغط عليها من قبل بعض القبائل المعادية لها وعاشت قبيلة قراقيونلو فى كنف الدولة الإيلخانية ثم دخلت فى خدمة الدولة الجلائرية فى عهد السلطان أويس (٧٥٧ – ٧٧٦هـ/ ١٣٥٦ – ١٣٧٤)م وأصبحت تابعة لها[٧].

أما بالنسبة لإقليم التركمان فقد أطلق على المناطق المحيطة بحوض نهر اميودريا(جيحون) –الذي يصب في بحيرة ارال– والصغد وأجزاء كثيرة من إيران وعرف باسم الإقليم التركمانى منذ القرن الخامس الميلادى، وتعد من أبرزالمراجع التي رجعت لهذا الاقليم بذاك الاسم دائرة المعارف الصينية التى كتبت فى القرن الثامن الميلادى[٨].

نستخلص مما تقدم أن التركمان هم الأوغوز الذين نزحوا من آسيا الوسطى وكانوا على قسمين أولهما يسكن البرارى والأحراش هم بدو رحل يتحركون وراء العشب والكلأ ، وثانيهما هم من سكنوا المدن وعاشوا حياة مستقرة واختلطوا بعناصر السكان الأصلية الموجودين بداخل تلك المدن[٩].

وقد جاور البدو الرحل من الأوغوز بلاد ما وراء النهر(نهر جيحون) وخوارزم و كذلك من أشهر إسلامه من الأوغوز سواء كان من سكان المدن أو

البدو الرحل الذين أطلق عليهما اسم التركمان ، ولم يتوقف الأمر عند إسلامهم بل حارب المسلمون من الاوغوز بنى جلدتهم غير المسلمين، ثم هاجرت معظمهم إلى بلدة الـــبچنك بالقرب من سواحل البحر الأسود، وانتـــشر التركمـــان فـــى الـــبلاد الإسلامية وتحكموا فى مصائر أكثر الدول وصـــار لهـــم دورهـــم المـــؤثر فـــى الأحداث(١٠).

وفى ذلك دلالة على أن التركمان كانوا مؤثرين بدرجة كبيرة فى الأحـــداث سواء كانوا مسلمين أو غير مسلمين فقد كانت لديهم طموحات كثيرة ولم يكونوا من الأقوام الراضخين الطائعين بل حاولوا جاهدين البحث عن نوع من الاستقلالية حتى يحققوا ذواتهم.

ومن المؤكد أن القبائل الأوغوزية لم تنتقل من مواطنها الأصـــلية دفعـــة واحدة بل تعاقبت الهجرات على مر السنين واســـتوطنوا بـــلاد مـــا وراء النهـــر وخراسان واعتنق معظمهم الإسلام ثم نزحوا إلى الأناضول والعراق (١١).

ويرجع تاريخ الأوغوز إلى عصور سحيقة فى القدم ويظهر ذلك من نقوش أورخون التي اشارت إلي ما لهم من مكانة بارزة بين الأقوام التركيـــة فـــى تلـــك العهود وقد أقامت هذه القبائل تعيش فى مواطنها الأصلية فى أواسط آســـيا حتـــى أجبرتها الظروف السياسية التى ترك أماكنها والبحث عن مناطق أكثر أمناً ومـــن ضمن هذه الظروف هجوم فرع آخر من فروع الترك وهم "القرغيز" على أراضيهم حتى اضطروهم إلي النزوح منها (١٢).إلى تركستان الشرقية فى حين هاجر القـــسم الأعظم منهم إلى الغرب حيث سواحل الأرال ونهر سيحون(سردريا) (١٣).

وكلمة أوغوز كلمة مشتقة من (أوق – ز) و أوق كلمة تركية قديمة معناها القبيلة، أما حرف – ز – كان أداة جمع فى التركية القديمة وبـــذلك يكـــون معنـــى أوغوز القبائل والراجح أن هذه القبائل سميت باسم جدها الأعلى أوغوزخان(١٤) أحد أشهر أبطال الترك الذى احيطت به هالة كثيفة من الإجلال والتقدير من قبل الأتراك ولاسيما فى كتاباتهم(١٥).

أما بالنسبة للتجمع القبلى القراقيونلى التركمانى فقد تفرع عن عشيرة "ايوا" التى تعود إلى قبائل الأوغوز الأربعة والعشرين المنسوبة إلى أوغوزخان الشخصية الأسطورية المحببة لدى الاتراك وكان مركز قوة هذا التجمع يقع شمال بحيرتى "وان – امودريا"(١٦).

ومع التغير السياسى الذى طرأ على العالم الإسلامى بظهور جحافل المغول منذ عام ٦١٧هـ واجتياحهم للبلدان الإسلامية فى خوارزم وبلاد ما وراء النهر حتى وصلوا الشام دون مقاومة تذكر، تحركت تجمعات قراقيونلو التركمانية التركية إلى بعض مدن آذربيجان والأطراف الشرقية لشبه جزيرة الأناضول، هربًا من بطش المغول وبحثًا عن نوع من الأمن والاستقرار(١٧)، وقد أنشأ هؤلاء أعظم إمبراطورتين فى التاريخ، السلجوقية حيث ينسب السلاجقة إلى قبيلة قينيق Kink والعثمانية حيث ينتسب العثمانيون إلى قبيلة قايى Kayi (١٨).

نرى من كل ما تقدم أن الأوغوز كانوا من أهم الفروع التركية وأكثرها تأثيرًا فى التاريخ التركى واسهموا بقسط كبير فى تغير خريطة المشرق الإسلامى من خلال دولهم التى أقاموها وتسيدت معظم دول العالم الشرقى لفترات طويلة على مر التاريخ وقد كان لهذه الدول أثرها السياسى والاجتماعى والاقتصادى والثقافى وعملت على إثراء الحضارة الإسلامية ومزجها بالصبغة التركية.

كما أن بعض القبائل التركية الأوغوزية أقامت دويلات مستقلة ومنهم البجنك والبيات والأوتار والقراقيونلو ولعبت هذه الدويلات دورًا بارزًا فى مسيرة التاريخ التركى. وتواجدت معظم هذه القبائل فى منطقة ما وراء النهر أو بالأحرى فى منطقة التركستان التى تمتد من هضبة منغوليا وشمال الصين شرقًا إلى بحر الخزر (بحر قزوين) غربًا ومن السهول السيبيرية شمالاً إلى شبه القارة الهندية وفارس جنوبًا ثم تحركت هذه القبائل فى النصف الثانى من القرن السادس الميلادى من موطنها الأصلى إلى آسيا الصغرى فى هجرات متتالية وضخمة(١٩).

ويعود السبب الرئيس وراء هجرات قبائل القراقيونلو التركمانية للحالة الاقتصادية التى أصابت مواطنهم الأصلية فقد عانوا من الجدب الشديد وكثرة النسل بجانب ضغوط القبائل المجاورة لهم فاضطروا إلى الهجرة وترك أراضيهم بحثًا عن الكلأ والمرعى والعيش فى رغد وحتى ينالوا شيئا من نعمة الأمن والاستقرار(٢٠).

وإبان فترة حكم الخلفاء الراشدين(١١ -٤٠ هـ/٦٣٢ -٦٦١ م) كانت معظم قبائل القراقيونلو قد توطنت بالقرب من شواطئ نهر جيحون ثم استقروا فى طبرستان وجرجان فأصبحوا بالقرب من الأراضى الإسلامية التى فتحها المسلمون بعد معركة نهاوند وسقوط الدولة الساسانية فى بلاد فارس عام ٢١هـ/ ٦٤١م(٢١).

وفى عهد الخليفة الراشد عثمان بن عفان (٢٣ -٣٥ هـ/٦٤٤ -٦٥٦ م) ثم فتح طبرستان تم عبر المسلمون نهر جيحون عام ٣١هـ ونزلوا بلاد ما وراء النهر، فدخل كثير من الترك فى الإسلام وصاروا بعد فترة وجيزة من المدافعين عنه بل اتجه بعضهم إلى الجهاد فى سبيل الله بغية نشر الدين الإسلامى بين العالمين والدفاع عنه أمام المعتدين(٢٢).

وقد توطنت بعض قبائل القراقيونلو فى أمودوريا وبجوار بحيرة وان فكانت أراضيهم تتميز بوجود "نهر وخش" فتجمع السكان حول هذا النهر الذى ضمن لهم حياة كريمة دون شقاء أو عناء وقد حصنت قراهم واقيم بها عديد من المساجد(٢٣).

نخرج مما سبق بشىء مهم وهو أن وجود نهر وسط أراضى القراقيونلو ضمن لهم الاستقرار وقدم حماية طبيعية من الجدب والفقر حيث كانت هناك التربة الصالحة للزراعة وزاد من شعورهم بالطمأنينة التحصينات التى كانت عليها قراهم فلم تقس عليهم الطبيعة مثلما قست عليهم من قبل وأجبرتهم على الهجرة إلى مناطق شتى.

أما عن أبرز الحرف التى عمل بها القراقيونلو فكانت الزراعة حيث توافرت مقوماتها وكذلك التجارة وكانت رحلاتهم التجارية مع بلاد الصين وبلاد المشرق الإسلامى(٢٤).

وظلت تجمعات القراقيونلو تحتفظ بشكلها القبلى وشيخ القبيلة هو المتحكم والمتصرف فى كل شئونها ومع ذلك كانت فى معظم الأحيان تدين بالولاء والطاعة لمن يقبض على زمام الأمور ومقاليد الحكم من خلفاء الدولة الأموية وكذلك إبان عصر الدولة العباسية وظلت الأمور على هذا الحال حتى انقض المغول على العالم الإسلامى وانتهى دور العراق باعتباره مركزًا للدولة الإسلامية، ومصدرًا للإشعاع الحضارى والفكرى للعالم ولاسيما بعد سقوط بغداد عاصمة الخلافة العباسية عام ٦٥٦هـ/ ١٢٥٨م على يد هولاكو الذى لقب بلقب إيلخان وتعنى الخان الكبير ونائب الخان الأعظم وصار يلقب بهذا اللقب كل من تولى الحكم من نسله(٢٥).

اتخذت الدولة الإيلخانية المغولية من تبريز حاضرة لها وتضمت ممتلكاتها إيران والعراق ومعظم إقليم فارس ثم انتقلت حاضرتهم إلى مدينة السلطانية(٢٦) بآذربيجان(٢٧)وكذلك شملت مملكة هولاكو العديد من المدن الأخرى ولكنها لم تكن على نفس الدرجة من الشهرة(٢٨).

أى أن المغول الإيلخانيين انتشروا فى معظم بلاد المشرق الإسلامى وسيطروا على بلاد الشام وعلى العديد من الأقاليم الأخرى مما كان له أثره البالغ فى الهجرات من وإلى هذه الأقاليم التى أضحت ضمن ممتلكات الدولة الإيلخانية وتحت حكمها وسيطرة حكامها فقد هاجرت قبائل القراقيونلو إلى الشرق هربًا من المد والزحف والتوسع المغولى وحتى يتجنبوا بطشهم وشدة تنكيلهم ونزلت قبائل القراقيونلو الأراضى المجاورة للعراق العربى وبعض أطراف آذربيجان وحاولت أن تتجنب الاحتكاك بالدولة الإيلخانية التى لم تستمر فى الحكم لفترات طويلة فسرعان ما انتهت عام ٧٣٦هـ/ ١٣٣٥م بوفاة آخر حكامها من أحفاد هولاكو ويدعى أبوسعيد بهادر (٧١٧-٧٣٦هـ/١٣١٧ -١٣٣٥ م) ولم يكن للسلطان أبوسعيد أولاد ذكور فانتهت بموته سلالة هولاكو فى حكم فارس(٢٩).

وبوفاة أبي سعيد انتهى عهد الإيلخانيين ودار صراع بين الأمراء حول السلطة ونتج عن هذا الصراع أن تقاسمت إيران الأسر المغولية وبعض الأسر

المحلية وتفككت إيلخانية إيران إلى دويلات وممالك وطوائف أما بالنسبة للعراق فقد تمكن الجلائريون من حكمه بصورة مستقلة(٣٠).

ويعد سقوط الدولة الإيلخانية وقيام الدولة الجلائرية بمثابة طفرة حقيقة فى تاريخ القراقيونلو حيث بدأ ظهورهم المؤثر فى الأحداث وصاروا بمثابة عمود فقري فى معظم الأحداث السياسية التى عاصرتهم.

على ضوء ما سبق يتضح أن القراقيونلو كانوا فى مرحلة البناء وحاولوا جاهدين بناء شخصيتهم وتحديد هويتهم كما اجتهدوا في الاستفادة من كل الظروف المواتية لهم لتحقيق قدر من الاستقلالية وتجنب الصدام مع قوى قد تؤدى إلى قتل أحلامهم فى المهد.

ثانيًا:- الدور السياسى للقراقيونلو إبان عهد الدولة الجلائرية:-

يعد عام ٧٤٠هـ/١٣٣٩ م هو البداية الحقيقة لقيام الدولة الجلائرية لانفراد الشيخ حسن بن الأمير حسين بن آقبغا بن أيلكان الجلائرى بالحكم فى بغداد، لأنه لم يعد يحكم من خلال أحد من سلالة الإيلخانات المغول وقد اتخذت الدولة الجلائرية من بغداد حاضرة لها واستقرت لها الأمور واستتبت الأحوال(٣١).

وخلف الشيخ أويس أبيه حسين الجلائرى فى حكم الدولة الجلائرية عام ٧٥٧هـ/ ١٣٥٦م وبدأ سلسلة من التوسعات الخارجية كان منها توسعه فى الأراضى المجاورة للعراق العربى من جهة الشمال فاستولى على الموصل من بيرام خواجه التركمانى زعيم قبيلة القراقيونلو فرغم محاولات التصدى من قبل هذه القبيلة إلا أنها لم تقو على الصمود أمام قوة الجيوش الجلائرية وسقطت عام ٧٦٦هـ/ ١٣٦٥م(٣٢).

وهكذا منيت قبيلة القراقيونلو بأول هزيمة لها فى ظل الدولة الجلائرية عندما تعارضت أحلام الشيخ أويس التوسعية مع رغبة هذه القبيلة فى البحث عن استقلالية فى مناطق نفوذها وتواجدها وفى ذلك دلالة على فشل هذه القبيلة فى أول صدام مسلح لها مع الدولة الجلائرية.

وبعد هذه الهزيمة التى تجرع قبيلة القراقيونلو مرارتها خاطب زعيمها بيرام خواجه التركماني الشيخ أويس على التصالح وأن يبقى القراقيونلو فى مناطقهم مقابل التبعية الكاملة للدولة الجلائرية. والعمل فى خدمتها.

وبالفعل سيطرت الدولة الجلائرية فى عهد السلطان أويس على معظم أراضى الدولة الإيلخانية وأصبح للدولة الجلائرية قبائل تابعة لها مثل قبيلة قراقيونلو التى نزلت فى نواحى أرزنجان وسيواس وتركزت فى إقليم أرمينية حول بحيرة وان ثم دخلوا فى خدمة الدولة الجلائرية(٣٣).

ومن ذلك يتضح أن الفكر السياسى لقبيلة القراقيونلو دخل طورًا جديدًا ومرحلة بعيدة عن الصدامات الحربية حيث بدأت لديهم مرحلة المعاهدات والمفاوضات التى حافظوا بها على مناطق سيطرتهم ونفوذهم.

ومنذ تلك الآونة صار تواجد القراقيونلو على مسرح الأحداث مؤثرًا بدرجة كبيرة حيث دخلوا فى خدمة الدولة الجلائرية ونالوا مكانة داخل الحكومة الجديدة استطاعوا من خلالها أن يعبروا عن أنفسهم ويثبتوا كفاءتهم الحربية والعسكرية.

ولكن سرعان ما أتت الرياح بعكس ما تشتهى السفن حيث انقلب القراقيونلو على الدولة الجلائرية ولم تستمر علاقة المودة بينهم طويلاً وساءت العلاقات مع اعتلاء حسين بن أويس عرش الدولة الجلائرية في سن صغيرة وتلقب بلقب جلال الدولة (٣٤).

وقد أراد القراقيونلو استغلال فرصة بداية فترة حكم جلال الدولة حسين وصغر سنه كى يناوئوا الدولة الجلائرية ويخرجوا عليها بهدف الاستقلال بما معهم من ممتلكات وشجعهم على هذا التفكير كثرة الخارجين على الدولة الجلائرية والطامعين فيها مثل الدولة المظفرية، وخروج على بن أويس حاكم بغداد وأخي حسين بن أويس للاستقلال بالعراق العربى وكذلك خروج أخيه أحمد بن أويس حاكم البصرة للانفراد بالسلطة وكل هذه العوامل نشرت بذور الضعف والتدهور داخل كيان الدولة الجلائرية(٣٥).

يتضح مما سبق أن حلم قيام دولة أو كيان مستقل كان يراود القراقيونلو منذ وقت مبكر لكنهم كانوا يتحينون الفرصة المناسبة من أجل الخروج بهذا الحلم إلى عالم الواقع فقد كانت لديهم رغبة ملحة فى قيام دولة ذات سيادة وكيان مستقلين.

وعندما آل الحكم إلى السلطان جلال الدين حسين استأذنه الوزير زكريا في استدعاء ابنه إسماعيل بن زكريا من الشام ليقوم بخدمة الشيخ على بن أويس ببغداد، غير أن إسماعيل بن زكريا استبد بأمور بغداد دون الشيخ على لهذا دبر الشيخ على ابن السلطان أويس مع بعض كبار رجال الدولة – كان منهم مباركشاه، وبير على بارك أو (قنبر على بارك)، وقرا محمد القراقيونلوي– فى منتصف عام ٧٨١هـ – ١٣٧٩م مؤامرة انتهت بقتلهم للأمير إسماعيل بن زكريا عندما كان ذاهبًا لأداء الصلاة ثم نادوا بالشيخ على بن أويس ملكًا على المدينة وعلى الولاية كلها فتردد حسين فترة ثم أقر للشيخ على بن أويس بالسلطنة على بغداد وولايتها(٣٦).

مجمل القول أن القراقيونلو كانوا بمثابة الشوكة فى ظهر الدولة الجلائرية ولم يرضخوا لها رضوخاً تامًا بل شاركوا فى معظم حركات المناوأة ولم يتوقف الأمر عند هذا الحد بل صار القراقيونلو ضمن العوامل الرئيسة التى أدت إلى ضعف واضمحلال وتدهور الدولة الجلائرية.

وظل محمد القراقيونلو التركمانى فى خدمة حكام الدولة الجلائرية وإن كانت سياسته معهم لم تدم على وتيرة واحدة فكان يشارك أحياناً فى بعض حركات التمرد والعصيان ، وأحيانا أخرى يظهر الولاء والطاعة والإخلاص ولاسيما إبان عهد السلطان أويس الجلائرى الذى قربه منه وجعل له شأنا بداخل الدولة الجلائرية وأصبح ذا مكانة ومهابة فكان ذلك مدعاة لقرا محمد القراقيونلو أن يظهر الإخلاص والطاعة والولاء مع من أحسن إليه، وفى عهد السلطان أويس بلغت الدولة الجلائرية قمة النضج والقوة والشباب وتوطدت أركانها ووصلت أقصى مراحل اتساعها(٣٧).

ثم شاءت الأقدار أن تزداد مكانة قرا محمد التركمانى ويرتفع شأنه لاسيما فى عهد السلطان أحمد بن أويس الجلائرى حيث عين من قبل هذا السلطان حاكمًا على تبريز(٣٨)، ولكن السلطان أحمد استبد بالأمور وبدأ يوغل في الظلم والجور وجاهر بالمعاصى والشرور وانهمك فى الملذات وصار يفتك بكل من يتصدى له من أمرائه الكبار ورجاله العظام ويأتى بمن هم أقل منهم مكانة وشأنا و نفوذا ويوليهم الأمور، فنالوا المكانة الرفيعة بلا مكانة يستحقونها فاستعان أهل بغداد بتيمورلنك ليحميهم من ظلم سلطانهم وحدث ذلك عام ٧٨٦هـ/ ١٣٨٤م(٣٩).

اغتنم الأمير تيمورلنك(٧٧١ -٨٠٧هـ/١٣٧٠-١٤٠٥ م) فرصة استغاثة أهل بغداد به وتأييد الفرس له ورأى أن يشن هجومًا على أراضى الدولة الجلائرية، ولكنه أراد قبل أن يبدأ فى تنفيذ خطته أن يتأكد من مدى اضطراب الأحوال داخل الدولة الجلائرية ومناسبة الوقت لمهاجمة هذه الدولة فأرسل رسولا له يدعى الحاج سيف الدين بسبب ظاهر وهو أداء فريضة الحج ولكن السبب الخفى والحقيقى هو التجسس وبالفعل عاد الرسول إلى تيمورلنك ووصف له الأحوال قائلاً: "إن الغنم لا راعى لها والبلاد غنيمة باردة لأن ملوكها فى محاربة ومقاتلة فيما بينهم فيمكن الاستيلاء عليها واحدة". فلما سمع تيمورلنك ذلك قرر الاستيلاء عليها(٤٠).

أرسل الأمير تيمورلنك جيوشه إلى تبريز عام ٧٨٧هـ/ ١٣٨٥م للاستيلاء عليها فأسرع السلطان أحمد بن أويس بالفرار منها وحاول حاكمها قرا محمد التركمانى التصدى لجيوش تيمورلنك ولكن الغلبة كانت لتيمورلنك لكثرة جيشه وحسن تنظيمه ومهارته الحربية، وطرد قرا محمد التركمانى خارج تبريز(٤١).

مما سبق يتضح أنه مع الاحتكاك الرئيس بالتتار المسلمين ممثلين فى قائدهم تيمورلنك وجيشه خسر قرا محمد التركمانى فى ميادين المعركة مما دل على أنه لم يكن مستعدا بشكل جيد كى يخوض غمار الحرب مع تيمورلنك صاحب الشجاعة والقوة والفروسية والمهارة الحربية فيحتاج من يلاقيه أن يكون لديه استعداد من نوع خاص حتى يقوى على التصدى له.

ثالثًا: إرهاصات قيام دويلة القراقيونلو وأبرز الأحداث التى ترتبت على ذلك:-

لقد حاول قرا محمد التركمانى أن يعيد ترتيب أوراقه من أجل استعادة تبريز من يد تيمورلنك ويعلن الاستقلال بها وقيام دولة فيها تحت حكم قبيلة القراقيونلو وظل يتحين الفرصة حتى يحقق هدفه، وواتته الفرصة فهاجم تبريز إبان غياب تيمورلنك عنها واستعادها عام ٧٨٨هـ/ ١٣٨٦م(٤٢).

ثم أرسل قرا محمد التركمانى إلى السلطان الظاهر سيف الدين برقوق(٧٨٤-٧٩١هـ/١٣٨٢-١٣٨٩) وأخبره باسترداد تبريز وأنه ذكر اسم السلطان برقوق فى الخطبة ونقش اسمه على العملة وطلب منه أن يسمح له بحكم بغداد بالنيابة عنه كما أرسل له بعض الدنانير والدراهم المنقوش عليها اسم السلطان برقوق فرحب السلطان برسل قرا محمد التركمانى وكان معهم قرا يوسف بن قرا محمد فأكرم السلطان وفادتهم وجهز لهم تشريفًا وتقليدًا ليكون قرا محمد نائبه فى أذربيجان(٤٣).

وكان قرا محمد يبحث عن شرعية فى حكمه واستقلاله ونجح على المستوى السياسى والدبلوماسي في أن ، يكسب التأييد والشرعية بعدما أتت سياسته بثمارها مع السلطان برقوق ويعد ذلك إرهاصات مبكرة لقيام دويلة مستقلة ولكنها تابعة للسلطة المملوكية وسلطانهم برقوق.

غير أن الأمير قرا محمد لم يهنأ طويلاً بما حققه فسرعان ما لقى حتفه على يد تيمورلنك الذى تمكن من الاستيلاء على تبريز مرة أخرى أواخر عام ٧٨٨هـ/ ١٣٨٧م وقتل قرا محمد واستباح جيشه آذربيجان أربعين يومًا فلم يدعوا منكرًا إلا فعلوه ولا فجورًا إلا أتوه(٤٤).

وواصل تيمورلنك توسعاته الخارجية بعد إسقاط تبريز حيث تمكن من اقتحام بغداد فى شوال عام ٧٩٥هـ/ ١٣٩٣م فأمر السلطان أحمد بن أويس الجلائرى ابنه طاهر بالتحصن مع أهله وأبنائه فى قلعة منيعة بالقرب من شروان، بينما أسرع السلطان أحمد بالفرار بما استطاع حمله من أموال وذخائر ونفائس،

وصاحبه بعض المقربين وذهبوا جميعًا إلى بلاد الشام، غير أن جنود الأمير تيمورلنك لحقوا به عند مدينة الحلة، فتمكنوا من هزيمته ونهب أمواله ، وأسر وقتل كثير من أصحابه ولم ينج سوى السلطان أحمد بن أويس فى عدد قليل فأسرع بالفرار إلى الشام ثم إلى مصر عام ٧٩٦هـ/ ١٣٩٣م واستغاث بسلطانها ليرد له ملكه وينتقم له من عدوه فوعده السلطان الظاهر برقوق بتقديم يد العون والمساعدة(٤٥).

وفى المقابل استمر جنود الأمير تيمورلنك قرابة شهر ببغداد تمكنوا خلاله من سلب ونهب المدينة وتعذيب أهلها. وصادر تيمورلنك أموال أهل بغداد، وقتل الكثير منهم حتى قيل أنه صنع قبة من تسعين ألف رأس من رؤوس رجال بغداد، فكان من عادته أن يطالب جنوده فى نهاية كل معركة بإحضار رؤوس القتلى من الأعداء ليصنع منها قبه، وبذلك تكون بغداد قد دانت لتيمورلنك، واستمر تيمور فى سياسته التعسفية يأمر بتخريب دور العلم، ونهب المكتبات ونقل كتبها إلى عاصمته وأمر بتهجير العلماء والمفكرين والحرفيين الذين سلموا من القتل إلى سمرقند والمدن الإيرانية، وبهذا لم تعد بغداد ابتداءً من عام ٧٩٥هـ/ ١٣٩٢ – ١٣٩٣م تابعة للأسرة الجلائرية لوقوعها تحت الاحتلال التيمورى(٤٦).

ولم يعرف اليأس طريقة إلى السلطان أحمد بن أويس فقد حاول استرداد بغداد، وقد نجحت هذه المحاولة وساعد على نجاحها السلطان الظاهر برقوق الذى تحمل كل نفقات تجهيز الجيوش وخرج معهم نحو الشام بعد أن أناب عنه فى حكم مصر النائب "سودون" ودخل دمشق آخر جمادى الأولى عام ٧٩٧هـ/ ١٣٩٤م وانتهز السلطان فرصة عودة تيمورلنك إلى سمرقند وهاجم بغداد ومعه السلطان أحمد بن أويس وتمكنا من استردادها ودخلها أحمد بن أويس فى رمضان عام ٧٩٧هـ/ ١٣٩٤م وأسرع مسعود الخرسانى نائب تيمور فى حكم بغداد بالفرار واستقر أحمد بن أويس فى بغداد وضرب السكة باسم السلطان الظاهر برقوق وكان السلطان برقوق قد أعطى أحمد بن أويس تقليد نيابة السلطنة ببغداد وهذا يعنى أن

السلطان أحمد بن أويس أصبح نائبًا عن السلطان ببغداد وأن بغداد أصبحت تابعة لمصر(٤٧).

وبدأ تيمورلنك يفكر من جديد فى الاستيلاء على بغداد فأعد جيشًا عام ٨٠٣هـ/ ١٤٠٠م بقيادة أمير يدعى (زاده رستم) ثم انضم تيمورلنك إلى هذا الجيش وحاصروا بغداد واستمر القتال حول العاصمة لمدة أربعين يومًا أظهر خلالها أهل بغداد البسالة والشجاعة ثم أمر تيمور جنوده أن يأتيه كل جندى برأسين من رؤوس رجال بغداد فعجز بعض الجند عن ذلك فلم يجد هؤلاء الجند أمامهم من بديل سوى قطع رؤوس النساء والأطفال ،فانهارت المدينة ولم تقوعلي التماسك أمام قوة وقسوة تيمور وجيشه وفر حاكمها الذى يدعى فرج وكان يحكم من قبل أحمد بن أويس وتبعه جنود تيمور حتى أغرقوه وسقطت بغداد تحت أقدام تيمور وصارت تابعة له واستمر القتل والتخريب بها لمدة أسبوع(٤٨).

على الجانب الآخر كان قرا يوسف التركمانى قد صار زعيمًا ورئيسًا لقبيلة قراقيونلو بالموصل وتوارى بعض الشئ عن الاشتراك فى الأحداث السياسية بعد مقتل أبيه قرا محمد على يد تيمورلنك فى الحرب حول تبريز، لكنه سرعان ما لبى نداء السلطان أحمد بن أويس الذى طلب منه المساعدة كى يتصدى لتيمورلنك ووجد هذا النداء هوى عند قرا يوسف كى ينتقم لأبيه ويحقق حلم قيام دولة مستقلة(٤٩).

وقد نجح التحالف بين قرا يوسف وأحمد بن أويس وحاولا أن يخضعا أهل بغداد لهما لكنهما فشلا لأن أهل بغداد كانوا قد عانوا كثيرا من تيمورلنك فخافوا من أن ينكل بهم لو حدث اتصال من جديد مع أحمد بن أويس، فما كان منهما إلا أن فكروا بالذهاب إلى بلاد الشام(٥٠).

غير أن الأمور كانت مضطربة فى تلك الفترة ببلاد الشام – نظرًا لوفاه السلطان برقوق عام ٨٠١هـ/ ١٣٣٩م وقيام ابنه الناصر فرج(٨٠١-٨٠٨هـ/١٣٩٩-١٤٠٥م) الذى كان فى الثالثة عشرة من عمره بأمور السلطنة من بعده، فطلب كلٌ من قرا يوسف، وأحمد بن أويس من دمرداش نائب حلب أن

يستأذن لهما السلطان فرج بن برقوق لدخول مصر، ففوض السلطان فرج الأمر إلى دمرداش لحسن رأيه وثقته به فلم يسمح لهما دمرداش بدخول الأراضى المملوكية وتصدى لهما مدفوعا بتخوفه من أن يبسطا نفوذهما على البلاد(٥١).

فكان رد فعل قرا يوسف التركمانى وأحمد بن أويس أن قررا الدخول فى حرب مع نائب حلب دمرداش فجمعا من حولهم الأتباع والأعوان وساندت قبيلة القراقيونلو زعيمها فى مطلبه الحربى وكذلك فعل البيت الجلائرى مع أحمد ابن أويس ودارت حرب بظاهر حلب عام ٨٠٢هـ/ ١٣٩٩م بين أحمد أويس ومعه حليفه يوسف بن قرا محمد التركمانى، وبين نائب حلب دمرداش ومعه حليفه نائب حماه الأمير دقماق المحمدى، أسفرت هذه الحرب عن انتصار أحمد بن أويس وقرا يوسف على دمرداش الذى فر إلى حلب ووقع حليفه دقماق نائب حماه فى الأسر ثم افتدى نفسه بمائة ألف درهم(٥٢).

من خلال عرض الأحداث السابقة يتبين لنا أن القراقيونلو عادوا للظهور المؤثر فى الأحداث من جديد وأنهم تواروا عن الأعين لبعض الوقت ثم عادوا ومعهم جيش قوى وقيادة على أعلى درجات الحنكة السياسية وحليف لديه رغبة ملحة فى استعادة أملاك ضائعة فالتقى الحلمان سويًا وعمل الطرفان معًا من أجل تحقيق مكاسب سياسية على أرض الواقع ولكن الصراع فى تلك الفترة قد انتقل إلى أرض جديدة وهى أرض الدولة المملوكية التى ساندت الطرفين من قبل وعملت على تحقيق نوع من الاستقلال لكليهما، ولكن هكذا لعبة السياسة ليس لها معيار ثابت.

لم يقف السلطان الناصر فرج مكتوف الأيدى أما انتصار قرا يوسف وحليفه أحمد ابن أويس فنادى بعض القبائل العربية أن تنضم إلى جيشه لمحاربة المعتدين فاستجاب "نعير بن حيار بن مهنا" أمير العرب من آل فضل ونائب بهنسا وتجمع الجيش والتقوا مع قرا يوسف وأحمد بن أويس وتمكنوا من هزيمة الحلفين عام ٨٠٢هـ/ ١٣٩٩م فندم السلطان أحمد بن أويس لاعتدائه على أراضى السلطنة المملوكية التى قدمت له المساعدات من قبل فى حروبه مع تيمورلنك وأرسل إلى السلطان الناصر فرج يعتذر عما حدث موضحًا له أن دمرداش هو الذى اضطرهما

لمحاربته. غير أن السلطان الناصر فرج لم يقبل اعتذارهما وأمر نائبه فى دمشق باعتقال السلطان أحمد بن أويس وقرا يوسف وإرسالهما إلى مصر(٥٣).

ومن خلال قراءة الأحداث السابقة يتبين أن قرا يوسف وأحمد بن أويس قد ارتكبا خطأ فى قرار حربهما مع دمرداش حيث فتحا على نفسيهما جبهتي قتال: جبهة تيمورلنك وجبهة المماليك الذين قدموا لهما يد العون والمساعدة من قبل فقد غابت عنهم الحنكة السياسية فى هذا الأمر.

ولم يجد قرا يوسف وأحمد بن أويس أمامهما بدا من الإسراع بالفرار من بلاد الشام إلى بلاد الروم (الأناضول – أسيا الصغرى) والتجأ إلى السلطان بايزيد الأول(٧٩١-٨٠٥هـ/١٣٨٩-١٤٠٢م) سلطان العثمانيين الذى قدم لها الأمن و الأمان وأكرم وفادتهما مما دفع تيمورلنك إلى التقدم نحو السلطنة العثمانية(٥٤).

تأهب الأمير تيمورلنك للخروج إلى بلاد الأناضول ورحل عن بغداد وسار حتى نزل بقرا باغ ثم أرسل إلى السلطان بايزيد بن عثمان صاحب بلاد الأناضول يطلب إليه أن يخرج قرا يوسف، وأحمد بن أويس من بلاده، وتوعده بمحاربته إذا لم ينفذ ما أمره به. غير أن بايزيد لم يستمع له. لهذا اتجه تيمورلنك نحو ممالك الروم للانتقام من سلطانهم العثمانى الذى أوى قرا يوسف و أحمد بن أويس ولم يكتف بذلك بل كانت رسائله تثير غضب تيمورلنك لأنها لا تدل على خضوعه واستسلامه له، والتقى الفريقان عام ٨٠٤هـ/ ١٤٠١م بالقرب من قرا باغ بالأناضول ولقى السلطان العثمانى بايزيد الأول هزيمة ساحقة ووقع أسيرًا فى يد تيمور وظل في الأسر حتى مات عام ٨٠٥هـ/ ١٤٠٢م وخرب تيمورلنك بلاد الروم التابعة للملكة العثمانية(٥٥).

نخرج من الأحداث السابقة بأن قرا يوسف و أحمد بن أويس لم يهنأ كثيرًا بالتحالف والتعاطف الجديد الذى حدث مع نزولهما بلاد الروم فقد وقع حليفهم فى الأسر ومات قبل أن يقدم لهما حلاً لمشكلاتهما وكانت الظروف والأحداث في غير جانب هذين الحليفين.

واستغل السلطان أحمد بن أويس حروب تيمورلنك فى بلاد الروم وغيابه عن بغداد وأسرع بمساعدة حليفة قرا يوسف بالعودة إليها عام ٨٠٤هـ/ ١٤٠١م ثم عاد قرا يوسف التركمانى إلى بلاده فى الموصل وتبريز(٥٦).

ولم يكد السلطان أحمد بن أويس يستقر فى بغداد حتى خرج عليه ابنه طاهر عام ٨٠٥هـ/ ١٤٠٢م، والتف الجند حول طاهر مؤيدين له فى خروجه على أبيه وذلك لكراهيتهم للسلطان أحمد نظرًا لسوء سيرته فأسرع السلطان أحمد بالفرار إلى الحلة غير أن ابنه طاهر طارده وأسرع بدخول بغداد ولم يجد السلطان أحمد أمامه سوى الاستغاثة بقرا يوسف فلبى قرا يوسف الاستغاثة. وتمكنا سويًا من هزيمة طاهر بالحلة ثم مات طاهر غرقًا تحت أقدام الخيل عندما تعثرت فرسه فى النهر فوقع من عليها ومات(٥٧).

وبعدما استقرت الأمور بالقضاء على ثورة طاهر سرت الشحناء بين السلطان أحمد بن أويس وقرا يوسف التركمانى وسبب تلك الشحناء هو غدر السلطان أحمد بما يقرب من خمسين رجلاً من أعيان دولته كانوا أتباع لقرا يوسف لهذا غضب قرا يوسف وسار لمحاربة أحمد وانتصر عليه واستولى على بغداد وفر السلطان أحمد إلى حلب متخفيًا فى زى أجير فقير فقبض عليه من قِبل رجال الدولة المملوكية بعدما تعرفوا عليه وأرسلوه إلى دمشق(٥٨).

ولم يستمر قرا يوسف فترة طويلة فى بغداد فقد عاد تيمورلنك من آسيا وأرسل إليه طائفة لإجباره علي الخروج منها فهزمهم قرا يوسف، ففوض تيمور حفيده (الميرزا أبى بكر) في حكم بغداد وأرسله لمحاربة قرا يوسف وأرسل معه العديد من الأمراء لمعاونته وتقابل الطرفان قرب الحلة وكان النصر يداعب قرا يوسف فى بداية المعركة إلا أن الميرزا أبى بكر وجيشه استطاعوا حسم المعركة لصالحهم عام ٨٠٥هـ/ ١٤٠٢ وبهذا استعاد جيش تيمورلنك بغداد(٥٩)، فلم يجد قرا يوسف أمامه سوى مخاطبة نائب الشام الشيخ المحمودى ويطلب شفاعته كى يصلح بينه وبين السلطان الناصر فرج المملوكى بمصر ولاسيما وأن السلطان المملوكى كان يرسل فى طلبه، فقبلت شفاعة الشيخ المحمودى نائب الشام واستقر قرا يوسف بالشام(٦٠).

ولم يكد يمض وقت طويل حتى أرسل الأمير تيمورلنك إلى السلطان الناصر فرج بن برقوق يطلب تسليم قرا يوسف، أحمد بن أويس وذلك عام ٨٠٦هـ/ ١٤٠٣م فطلبهما السلطان الناصر فرج من نائب الشام فرد عليه أنه قد سجن السلطان أحمد بن أويس وسيودع قرا يوسف السجن أيضًا إرضاء له ولم يرسلهما واعتقلهما فى دمشق(٦١).

وتقابل حليفا الأمس بالسجن وتعاهدا من جديد فى سجنهما على التحالف وأن تكون بغداد بعد خروجها للسلطان أحمد وتكون تبريز وما ولاها للأمير قرا يوسف، وخلال وجودهما بالسجن فى دمشق رزق قرا يوسف ابنًا اسماه "بير بوداق" فتبناه السلطان أحمد وتعهد لأبيه أنه سيعامله معاملة الابن(٦٢).

أرسل سلطان مصر برسالة إلى الأمير تيمورلنك يخبره باعتقال السلطان أحمد بن أويس وقرا يوسف ويستطلع رأيه بشأنهما وهذا يظهر مدى ضعف سلطان مصر وخوفه من تيمورلنك واختلاف شخصية عن شخصية أبيه السلطان برقوق، فأرسل الأمير تيمور إلى السلطان فرج يطلب منه أن يقيد السلطان أحمد ويرسله إليه حيًا أما قرا يوسف فيقتله ويرسل إليه رأسه، غير أن تيمور سرعان ما توفى قبل أن يصل رسوله إلى مصر وذلك يوم الأربعاء ١٧ شعبان عام ٨٠٧هـ/ ١٤٠٥م عند مدينة اترار–تقع عند معبر نهر سيحون(سرداريا) على الضفة الشرقية– وذلك خلال حروبه مع جيوش الصين، ثم حمل إلى سمرقند حيث دفن(٦٣).

ونلاحظ أن القدر وقف بجانب قرا يوسف وحليفه وأنقذهما من موت محقق وحتمى ولم يقف القدر فى هذه المرة حائلاً دون تحقيق حلم الدولة المستقلة الذى سعى إليها قرا يوسف.

أمر السلطان الناصر فرج بالإفراج عن السلطان أحمد وقرا يوسف عندما علم بوفاة تيمورلنك فأفرج عنهما الأمير شيخ المحمودى وأنعم على كل منهما بمائة ألف درهم وثلاثمائة فرس فعاد قرا يوسف إلى تبريز وأعلن قيام دولة القراقيونلو(٦٤).

رابعًا: التوسعات الخارجية للقراقيونلو:-

بدأ قرا يوسف سعيه من أجل انتزاع العديد من الممتلكات وضمها إلى تبريز والموصل حتى يوسع رقعة دولته التى أعلن عنها وكان حليفة السلطان أحمد قد توجه إلى بغداد لاستردادها وبالفعل استطاع الاستيلاء عليها عام ٨٠٧هـ/ ١٤٠٥م أما ميرزا أبوبكر حفيد تيمورلنك فكان قد شغل بمحاربة أهل أصفهان مما أدى إلى اضطراب الأمور فى تلك الفترة وساعدت الظروف السلطان أحمد أن يسترد عرش بغداد(٦٥).

وواصل قرا يوسف زحفه على البلاد المجاورة له حتى بسط نفوذه على مدينة أنيك (أونيك) (٦٦) فخرج ميرزا أبوبكر لمحاربته ودارت معركة حامية انتهت بهزيمة ميرزا أبى بكر واستطاع قرا يوسف الانتصار على آل تيمور اوأخذ منهم تبريز كلها وما تبعها وذلك عام ٨١١هـ/ ١٤٠٨م بعدما كانت مناطق قليلة منها تحت حكمه صارت تبريز بأكملها تابعة للقراقيونلو(٦٧).

خرج إقليم أذربيجان عن يد المغول ودان للقراقيونلو بزعامة قرا يوسف فقد استطاع قرا يوسف أن يسقط باقى الأقليم بعد سيطرته على تبريز وانتزعه من الدولة الجلائرية وولى عليه ابنه" بير بوداق" بوصفه ابن السلطان أحمد بالتبنى(٦٨).

مما سبق يتضح أن قرا يوسف حقق انتصارات على آل تيمور وكذلك على الدولة الجلائرية وحاول أن يظل على علاقة ود مع الجلائريين حيث استغل إعلان السلطان أحمد من قبل أن" بيربوداق" ابنه بالتبنى ووضع" بير بوداق" على ممتلكات الدولة الجلائرية التى حصل عليها حتى يكون ابنه هو الحاكم ولكن مع الاحتفاظ بالتبعية للدولة الجلائرية ولسلطانها الأب المتبنى أحمد بن أويس وفى ذلك دهاء وحنكه سياسية وحسن استغلال للمواقف، ولكن خدعة قرا يوسف لم تقنع السلطان أحمد بن أويس سيما أن ابنه علاء الدولة كان يحرضه ضد قرا يوسف بعد استيلائه على إقليم آذربيجان فزحف علاء الدولة نحو تبريز منتهزًا فرصة عدم وجود استعداد جيد من قبل قرا يوسف وغيابه عن تبريز حينذاك، لكن جيش قرا يوسف

تصدى لمحاولة علاء الدولة الذي وقع فى يد التركمان أسيرًا ومنذ ذلك الحين صارت العلاقات متوترة بين السلطان أحمد وقرا يوسف الذى رفض إخلاء سبيل علاء الدولة على الرغم من اعتذار السلطان أحمد عما صدر من ابنه(٦٩).

وبناء على ذلك شن السلطان أحمد بن أويس هجومًا على تبريز عام ٨١٣هـ/ ١٤١٠م بعدما رحل عنها قرا يوسف إلى أرزنجان فعندما علم قرا يوسف بالأمر عاد مسرعًا إلى تبريز وتمكن من هزيمة السلطان أحمد بن أويس واستطاع أحد الجنود القراقيونلو التركمان ضرب السلطان أحمد بن أويس فأوقعه من على فرسه وانتزع منه أسلحته وثيابه وتركه وشأنه فسلك السلطان أحمد طريق ممر مائى إلى أحد البساتين فعرفه شيخ اسكافى فطلب إليه السلطان ألا يفشى سره مقابل مكافأة كبيرة من المال سيمنحها له عند عودته إلى بغداد فوافق الشيخ ولكن زوجه أشارت عليه بأن مكافأة قرا يوسف ستكون أفضل فاستصوب الاسكافى رأى زوجته وذهب إلى قرا يوسف وأخبره بأمر السلطان فأرسل إليه وقبض عليه وأجلسه جانبه وعاتبه على نقض العهد الذى كان بينهما ثم أمره أن يكتب تنازلا عن حكومة أذربيجان إلى ابنه بالتبنى (بير بوداق) وأن يكتب تنازلا آخر عن حكومة العراق العربى إلى الأمير شاة محمد بن قرا يوسف وبعد أن كتب السلطان التنازل، أمر قرا يوسف بقتله ٨١٣هـ/ ١٤١٠م بعد أن نصحه أمراؤه بذلك حتى لا يكون مصدر متاعب إن بقى على قيد الحياة(٧٠).

مما سبق يتضح أن ميزان القوة بدأ يميل صوب قرا يوسف وقد دانت له معظم البلاد عن طريق تنازل السلطان أحمد عنها ولكن الظروف السياسية قد ساعدته فى الوصول إلى هدفه ومنيته حيث ضعف السلطان الناصر فرج ومات تيمورلنك وهزم السلطان أحمد وأسر أبنه فكانت الأمور تسير فى صالحه.

وبهذا التنازل آل مصير الدولة الجلائرية إلى الزوال وصارت أذربيجان والعراق العربى تحت حكم قرا يوسف وابنيه وهذا يعد القيام الحقيقى لدويلة القراقيونلو بل وامتداد ممتلكاتها وتوسعها على حساب الدولة الجلائرية عام ٨١٣هـ/ ١٤١٠م.

ولم يكتف قرا يوسف بذلك بل فكر فى مهاجمة بغداد عام ٨١٤هـ/ ١٤١١م فأرسل الشاه محمد بن قرا يوسف للاستيلاء على بغداد فصار بجيشه حتى وصلها وفرض عليها الحصار عدة أشهر فتصدى له بقايا البيت الجلائرى وعلى رأسهم الأمير (بخشايش) والي بغداد من قبل السلطان أحمد كما عاونه الأمير دوندى بن حسين بن أويس ومع قوة المقاومة وبسالتها اضطر الشاه محمد بن قرا يوسف إلى رفع الحصار عن بغداد(٧١).

ثم عاد الشاه محمد وفرض الحصار من جديد على بغداد فأشاعت والدة السلطان أحمد أنه لم يقتل ومازال على قيد الحياة محاولة منها لرفع الروح المعنوية فى الدفاع عن بغداد غير أنه اتضح للناس عدم صدق هذه الإشاعة واستطاع شاه محمد بن قرا يوسف بسط نفوذه على بغداد أواخر عام ٨١٤هـ/ ١٤١١م وأسرع أويس ومن معه من بقايا البيت الجلائرى بالفرار إلى تُستْر وبسط نفوذه عليها(٧٢).

واستمرت بقايا الأسرة الجلائرية تحكم تستر فترة من الزمن وكان من أبرزهم السلطان أويس بن شاه ولد وخلال حكمه حاول محمد شاه بن قرا يوسف صاحب بغداد الاستيلاء على تستر فزحف على رأس جيش كبير عام ٨١٨هـ/ ١٤١٥م وفرض عليها الحصار غير أنه لم يتمكن من فتحها لاستماتة آل أويس فى الدفاع عنها(٧٣).

ثم حاول السلطان أويس بن شاه ولد عام ٨٢٢هـ/ ١٤١٩م الاستيلاء على بغداد وخاض حربًا مع محمد بن قرا يوسف ولكن حربه باءت بالفشل وقتل أثناء المعركة(٧٤).

وخلف أويس السلطان محمد بن شاه ولد (٨٢٤-٨٢٧هـ/١٤٢١-١٤٢٣م) فى حكم تستر بعد موت أخيه أويس الثاني وقام بمحاولة الاستيلاء على بغداد فزحف نحوها وفرض عليها الحصار من الجهة الغربية لكنه لم يستطيع دخولها وعاد إلى الحلة وحكمها لمدة سنة ثم مات عام ٨٢٧هـ/ ١٤٢٣م وخلفه حسين بن علاء الدولة بن السلطان أحمد الجلائرى، فقام السلطان شاه بن قرا يوسف التركمانى بالسير إلى أصفهان وفرض الحصار على السلطان حسين لكنه لم يستطع الانتصار عليه واضطر إلى رفع الحصار لاستنجاد حسين بشاه رخ بن تيمورلنك،

واستطاع السلطان حسين بمساعدة شاه رخ الاستيلاء على الموصل وأربل وتكريت وكانت هذه المدن تحت إمرة قرا يوسف(٧٥).

فعاد شاه بن قرا يوسف إلى أصفهان محاولاً إنقاذ هذه المدن من يد السلطان حسين وفرض الحصار على الحله لمدة سبعة أشهر وتمكن من القبض على السلطان حسين بعد أن أعطاه الأمان ولكنه لم يف بعهده وقتله عام ٨٣٥هـ/ ١٤٣١م وبموته زالت الأسرة الجلائرية فى العراق لكونه آخر سلاطينها(٧٦).

وبعد تخلص القراقيونلو من جميع المناوئين لهم وتوسعهم على حساب الدولة الجلائرية حدث نزاع داخلى فى عام ٨٣٦هـ /١٤٣٢ م حيث ثار الأمير "اسباه" على أخيه الشاه محمد بن قرا يوسف ونجح فى الاستيلاء على بغداد ثم خلفه أخوه بعد وفاته ويدعى جهان شاه وفى عهده حدث نزاع مع قبيله تركمانية من بنى جلدتهم تدعى أق قونيلو وكان زعيمها يدعى حسن بك الطويل ودارت رحى الحرب بين الطرفين ولكن الغلبة كانت لصالح حسن بك الطويل عام ٨٧٠هـ الذى أقام دولة أق قونيلو على أنقاض دويلة القراقيونلو وانقرضت أخر مدن هذه الدولة عام ٨٧٤هـ/ ١٤٧٠م(٧٧).

مما سبق يتبين أن القراقيونلو قضوا معظم حياتهم فى حروب مستمرة إما للمساندة أو للتحالف أو للتمرد أو لهدف شخصى وحتى بعد قيام دويلتهم ظلوا فى حالة تعبئة عامة للتوسع الخارجى وعندما استقرت الأمور إذ بالصراعات الداخلية تنشب بينهم حتى أدت إلى انفراط عقد دولتهم وذهبت إلى بنى عمومتهم وهم أق قونيلو .

الهوامش

١. كوبرلى زاده فؤاد: توركيا تاريخى، استنابول، ١٩٢٣م، ص١٤٦- ١٤٧؛ د/ سعد زغلول عبدالحميد: "الإسلام والترك فى العصر الإسلامى والوسيط"، بحث منشور فى المختار من عالم الفكر (١)، دراسات إسلاميه، تصدر من مجلة عالم الفكر، وزارة الإعلام، الكويت، ١٩٨٤م، ص٨١.

٢. البورفيسور، زكى وليدى طوغان:- عمومى تورك تاريخيه كيرش، "المدخل إلى التاريخ التركى العام، جـ١، مطبعة آق كون، استنابول، ١٩٤٩، ص١٨٦- ١٨٧؛
Haider Monura: "The Mongol Traditions and Their Survival in Central Asia XIV- XV Centuries" Central Astatic Journal, vol. 28, No 1- 2, Otto Harrassowitz, Wiesbaden, 1984, pp.68- 69.

٣. زكى وليدى طوغان: المرجع السابق، ص٢٠٢- ٢٠٣.

٤. **قراقيونلو**: كلمة تركية معناها الخراف السود وهناك قبيلة أخرى تدعى **أق قيونلو** ومعناها الخراف البيض لأن الخروف الأبيض كان رمزًا لهم ويوضع على أعلامهم وأطلق عليهم أيضًا اسم القبيلة **البانيدرية** نسبة إلى أحد أجدادهم الأوائل ويدعى بانيدر وقدمت هذه القبيلة من بلاد تركستان ونزلت ديار بكر فى خدمة ملوك ماردين من بنى الارتق.
لمزيد من التفاصيل راجع: سليمان عطية: العلاقات السياسية بين مصر وغرب آسيا، رسالة بجامعة القاهرة، ١٩٥٢م، ص٢٠.

٥. **أرزنجان**: بالفتح ثم السكون وفتح الزاى وسكون النون وجيم وألف ونون وأهلها يقولون ارزنكان بكاف وهى **و سيواس** من بلاد أرمينا بين الروم وخلاط وقريبة من أرزن الروم وغالب أهلها أرمن وبها مسلمون أيضًا: راجع ياقوت (شهاب الدين أبوعبدالله الحموى الرومى) ت ٦٢٦هـ/ ١٢٢٩م معجم البلدان، جـ٣، تحقيق فريد عبد العزيز الجندى، الطبعة الأولى، دار الكتب، بيروت، لبنان، ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م، ص١٣٠.

٦. سليمان صائغ الموصلى: تاريخ الموصل، جـ١، مصر، ١٣٤٢هـ/ ١٩٢٣م، ص٢٥٥.

٧. سليمان عطية: المرجع السابق، ص٢٠.
٨. زكى ليدى طوغان: المرجع السابق، ص٢٠٣.
٩. عثمان توران: سلجو قليلر تاريخى وتورك سلام مدينى "تاريخ السلاجقة والحضارة التركية الإسلامية، منشورات معهد أبحاث الثقافة التركية(٧)، انقره، ١٩٦٥، ص٧٢؛ سعد زغلول عبدالحميد: المرجع السابق، ص٨٠.
١٠. عثمان توران: المرجع السابق، ص٧٢- ٧٣؛ Haider Monura: op.cit., p.68.
١١. أرشد الهرمزى: التركمان فى العراق، منشورات المكتب الإعلامى للحزب الوطني التركمانى العراقى رقم٤، د.ت، ص١٣.
١٢. كوبرلى زادة فؤاد: المرجع السابق، ص٢٠٣.
١٣. زكى ليدى طوغان: المرجع السابق، ص٢٠١.
١٤. **أوغوزخان:** هناك ملحمة تسمى أوغوز نامه وتتحدث هذه الملحمة بإسهاب عن مولد وحياة أوغوزخان والقدرات الغامضة التى كانت تحيط به ويعتبر كتاب "دده قورفوث" جزءً من هذه الملحمة ويحتوى على اثنى عشرة قصة تبين وقائع تاريخية معينة ذات علاقة وثيقة بالمعتقدات التركية وطرق العيش فى المجتمع وهناك= =ملحمة شعرية أخرى عن أوغوزخان لم يتوصل العلماء إلى نصها الكامل إلا أن ملحمة أوغوزخان الأصلة تعتبر جزءً مهمًا من الملاحم التركية الكبرى التى تمجد عظام الشخصيات التركية التاريخية. لمزيد من المتفاصيل: راجع أرشد الهرمزى: المرجع السابق، ص١٥.
15. Sykes Brigadier – General: A History of Persia, London, 1958, p.70; عثمان توران: المرجع السابق، ص٧١- ٧٢؛ ارشد الهرمزى: المرجع السابق، ص١٥.
١٦. كليفورد. أ. بوزورث: الأسرات الحاكمة فى التاريخ الإسلامى، ترجمة حسين على اللبودى، مراجعة سليمان العسكرى، الطبعة الثانية، مؤسسة الشراع العرابى، الكويت، ١٩٩٥م، ص٢٣٢.
17. David. J: Islam and Islamic Art in Arabia and the Middle East, 1999, p.7; نعمان الطيب سليمان: المغول وغزواتهم فى بلاد المسلمين، الطبعة الأولى، مطبعة الحسين، القاهرة، ١٩٨٨م، ص٣٨؛ أرشد الهرمزى: المرجع السابق، ص١٦.

١٨. المقريزى (تقى الدين أحمد بن على) ت ٨٤٥هـ/ ١٤٤١م:- كتاب السلوك لمعرفة دول الملوك، نشره محمد مصطفى زيادة، الجزء الأول، القسم الأول، القاهرة، ١٩٤٢م، ص٣.
١٩. نفسه، ص٣- ٤؛ أرشد الهرمزى: المرجع السابق، ص١٤- ١٥.
٢٠. ابن الأثير (عزالدين بن أبى الحسن على بن الكرم الشيبانى) ت٦٣٠هـ/ ١٢٣٢م: الكامل فى التاريخ، الطبعة الأولى، ج٨، دارصادر ، بيروت، لبنان، ١٩٦٧، ص٢٢.
٢١. نفسه، ص٢٢- ٢٣.
٢٢. البلاذرى (الإمام أبى الحسن البلاذرى) ت٢٧٩هـ/ ٩٨٢م:- فتوح البلدان، عنى بمراجعته لتعليق عليه، رضوان محمد رضوان، دار الكتب العلمية بيروت، لبنان ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م، ص٤٠٥- ٤٠٩.
٢٣. بارتولد: تركستان من الفتح العربى إلى الغزو المغولى، نقله عن الروسية صلاح الدين عثمان هاشم، المجلس الوطنى للثقافة والفنون والآداب، أشرف على طبعه قسم التراث العربى، الكويت، ١٩٧٤، ص١٥٣.
٢٤. نفسه، ص٢٩٣.
٢٥. ابن الساعى (على بن انجب) ت ٥٩٣ – ٦٧٤هـ: تاريخ الخلفاء العباسيين، قدم له واعد فهارسه، د. عبدالرحيم يوسف الجمل، القاهرة، ١٤١٣- ١٩٩٣م، ص١٥٩- ١٦٠؛ ابن بطوطه (محمد بن عبدالله الطنجى) ت٧٧٩هـ/ ١٣٧٧م: الرحلة المسمى تحفة النظار فى غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، جـ٢، مصر، ١٣٨٣هـ/ ١٩٦٤م، ص١٤٣؛ ابن عرب شاه (أقضى القضاه شهاب الدين أحمد بن محمد الدمشقى) ت ٨٥٤هـ: عجائب المقدور فى أخبار تيمور، الطبعة الأولى، مطبعة وادى النيل، القاهرة، ١٢٨٥هـ، ص١٤.
٢٦. **السلطانية:** مدينة قديمة من بلاد فارس العجمى واقعة بين قزوين وهمذان أسسها شاه خدانبدا وبنى بها بيتاً جميلاً وتغالى فى تزينها وبقيت مدة طويلة مقام ملوك الفرس من عائلة جنيكزخان وفيها دفن أبوسعيد ثم أتى تيمورلنك ودمرها ولم يبق منها سوى بعض الآثار القديمة.
راجع محمد أيمن الخانكى: منجم العمران فى المستدرك على معجم البلدان، الطبعة الأولى، القاهرة، ١٣٢٥هـ/ ١٩٠٧م، ص٢٣٤.

٢٧. يمنى رضوان: الدولة الجلائرية وأهم مظاهر الحضارة فى العراق وآذربيجان خلال القرنيين الثامن والتاسع بعد الهجرة، الطبعة الأولى، القاهرة، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م، ص١١.

٢٨. سليمان صائغ: المرجع السابق، جـ١، ص٢٣٤- ٢٣٥.

٢٩. البدليسى (شرف خان): الشرفنامة، جـ٢، ترجمة من الفارسية إلى العربية محمد على عونى، راجعة، يحيى الخشاب، القاهرة، ١٩٦٢م، ص٣٥؛ أحمد عبدالكريم سليمان: المغول والمماليك فى عهد دولة بنى قلاوون، الطبعة الأولى، القاهرة، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٤م، ص٣٧.

٣٠. Rene Grousset: Histoire de L'asie Paris 1922, pp.116- 117.

٣١. المقريزى: المصدر السابق، جـ٢، ص٤٨٩؛ ابن خلدون (عبدالرحمن بن محمد بن خلدون الحضرمى المغربى) ت٨٠٨هـ: العبر وديوان المبتدأ والخبر فى أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوى السلطان الأكبر، المشهور بتاريخ بن خلدون، علق عليه تركى فرحان المصطفى، جـ٥، الطبعة الأولى، دار أحياء التراث العربى، بيروت، لبنان، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٩م، ص٥٥١.

٣٢. البدليسى: المصدر السابق، ص٥١.

٣٣. سليمان عطية: المرجع السابق، ص٢٠- ٢٦.

٣٤. ابن عرب شاه: المصدر السابق، ص٥٠.

٣٥. ابن خلدون: المصدر السابق، جـ٥، ص٥٥٢- ٥٥٣؛ ابن تغرى بردى (جمال الدين يوسف أبوالمحاسن) ت٨٧٤هـ/ ١٤٦٩م: النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة، جـ١١، القاهرة، ١٣٦١هـ/ ١٩٤٢م، ص١٣٣.

٣٦. ابن خلدون: المصدر السابق، جـ٥، ص٥٥٣- ٥٥٤؛ يمنى رضوان: المرجع السابق، ص٤٥- ٤٦.

٣٧. كليفورد: المرجع السابق، ص٢٣٢؛ يمنى رضوان: المرجع السابق، ص٤١.

٣٨. ابن خلدون: المصدر السابق، جـ٥، ص٥٥٤.

٣٩. الخطيب الجوهرى (على بن داود الصيرفى) ت ٩٠٠هـ: نزهة النفوس والأبدان فى تواريخ الزمان، جـ١، تحقيق حسن حبشى، القاهرة، ١٩٧٠، ص١٧٧؛ ابن عرب شاه:

المصدر السابق، ص٥٠؛ العسقلانى (الأمام شهاب الدين أبى الفضل بن حجر العسقلانى) ت٨٥٢هـ: إنباء الغمر بأنباء العمر، طبع تحت مراقبة د. محمد عبدالمعين، الطبعة الثانية، جـ٢، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م، ص٢١٤.

٤٠. عباس العزاوى: تاريخ العراق بين احتلالين، جـ٢، الطبعة الأولى، بغداد، ١٣٥٤هـ/ ١٩٣٦م، ص٢٢٩.

٤١. ابن خلدون: المصدر السابق، جـ٥، ص٥٥٤.

٤٢. الخطيب الجوهرى: المصدر السابق، جـ١، ص١٧٧.

٤٣. نفسه، ص١٧٧- ١٧٨؛ سليمان عطية: المرجع السابق، ص٣٧.

٤٤. ابن تغرى بردى: المصدر السابق، جـ١١، ص٣٩٠؛ عباس العزاوى: المرجع السابق، ص٢١٥؛ سليمان عطية: المرجع الساب، ص٣٧- ٣٨.

٤٥. ابن عرب شاه: المصدر السابق، ص٤٥- ٥٠؛ العسقلانى: المصدر الساقب، جـ٢، ص٤٦٥؛ السخاوى (شمس الدين محمد عبدالرحمن) ت٩٠٢هـ: الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، جـ١، بيروت، لبنان، ص٢٤٣- ٢٤٤.

٤٦. يمنى رضوان: المرجع السابق، ص٥٥.

٤٧. ابن اياس (محمد بن أحمد بن اياس) ت٩٣٠هـ/ ١٥٢٢م: بدائع الزهور فى وقائع الدهور، جـ١، تحقيق محمد مصطفى، القاهرة، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م، القسم الثانى، ص٤٦٧؛ العسقلانى: المصدر السابق، جـ٢، ص٤٦٦- ٤٦٧.

٤٨. ابن عرب شاه: المصدر، ص١٢٤- ١٢٥؛ القرمانى (أبى العباس أحمد بن يوسف بن أحمد الدمشقى):- كتاب أخبار الدول وآثار الأول، ١٢٨٢هـ، ص١٢٩.

٤٩. ابن العماد الحنبلى (أبى الفلاح عبدالحى) ت١٠٨٩: شذرات الذهب فى أخبار من ذهب، جـ٢، القاهرة، ١٣٥١هـ، ص١٠١؛ العسقلانى: المصدر السابق، جـ٢، ص١٠٨.

٥٠. العسقلانى: المصدر السابق، ص١٠٨- ١٠٩؛ ابن تغرى بردى: المصدر السابق، جـ١٢، ص٢١٥.

٥١. سعيد عبدالفتاح عاشور: الأيوبيون والمماليك فى مصر والشام، الطبعة الثانية، دار النهضة العربية، ١٩٧٦م، ص٣٠١؛ يمنى رضوان: المرجع السابق، ص٦١.

٥٢. العسقلانى: المصدر السابق، ص١٠٩.
٥٣. ابن اياس: المصدر السابق، جـ٢، ص٥٨٩- ٥٩٠.
٥٤. البدليسى: المصدر السابق، ص٦٧.
٥٥. ابن تعرى بردى: المصدر السابق، جـ١٢، ص٢٦٧- ٢٦٩.
٥٦. العسقلانى: المصدر السابق، ص٤٦٧.
٥٧. يمنى رضوان: المرجع السابق، ص٦٣.
٥٨. السخاوي: المصدر السابق، جـ١، ص٤٥.
٥٩. عباس العزاوى: المرجع السابق، ص٢٥٨.
٦٠. ابن تغرى بردى: المصدر السابق، ص٣٠١؛ العسقلانى: المصدر السابق، ص٢٦٣- ٢٦٤.
٦١. يمنى رضوان: المصدر السابق، ص٦٤.
٦٢. نفسه
٦٣. القرمانى: المصدر السابق، ص٢٩١؛ أحمد محمود الساداتى: تاريخ المسلمين فى شبه القارة الهندية وحضارتهم، جـ٢، سلسلة الألف كتاب، ١٣٧٨- ١٩٥٩م، جـ٢، ص٣٥١.
٦٤. العسقلانى: المصدر السابق، ص٢٩٩- ٣٠٠.
٦٥. عباس العزاوى: المرجع السابق، ص٢٦١.
٦٦. **أنيك:** بالضم ثم السكون ونون مكسورة وياء ساكنة وكاف قلعة حصينة فى أرض أرزن الروم، راجع: ياقوت الحموى: مصدر سابق، جـ١، ص٣٧٨.
٦٧. ابن العماد: المصدر السابق، جـ٦، ص٤٦٧.
٦٨. العسقلانى: المصدر السابق، ص٤٦٧.
٦٩. عباس العزاوى: المرجع السابق، ص٣٠٠- ٣٠١.
٧٠. ابن عربشاه: المصدر السابق، ص٨٤؛ الخطيب الجوهرى: المصدر السابق، جـ، ص٢٨١؛ السخاوى: المصدر السابق، جـ١، ص٢٤٥؛ سليمان عطية: المرجع السابق، ص٩٣- ٩٤.

٧١. العسقلانى: المصدر السابق، ص٤٦٠؛ عباس العزاوى: المرجع السابق، ص٣٠٩-٣١٠.
٧٢. العسقلانى: المصدر السابق، ص٤٥٩- ٤٦٠.
٧٣. نفسه، جـ٣، ص٧٣.
٧٤. السخاوى: المصدر السابق، ص٣٢٤.
٧٥. العسقلانى: المصدر السابق، جـ٣، ص٤٨٤.
٧٦. عباس العزاوى: المرجع السابق، ص٣١٤- ٣١٥.
٧٧. أرشد الهرمزى: المرجع السابق، ص٣٠.